المناسبات القرآنية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلس (*)

د/حيدر مختار محمود
مدرس الدراسات الإسلامية
كلية الآداب –جامعة أسيوط

تقديم :

سمي أبو حيان كتابه البحر ، وقد كان بحرا زاخراً باللآلئ والدرر ، فوائده واضحة غُرَر، ولم يكتف بتسميته بالبحر وإنما وصفه بالمحيط ؛ فكان محيطاً لكل أبعاد التفسير، جامعاً لأوابده ، متتبعاً لنادةً وشارده ، حين تطالع البحر المحيط تعلم أن أبا حيان قد أعطي الكلام معناه وطابق بين الاسم ومسماه .

ورغم ما قيل عن البحر المحط من أنه كتاب نحو أو أنه أقرب إلي النحو منه إلي التفسير . يقول الدكتور الذهبي : قد أكثر من مسائل النحو في كتابه ، مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين حتي أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلي كتب النحو منه إلي كتب التفسير "[1] فإن أبا حيان قد اهتم– أيضاً – بقضايا التفسير مثل : أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ،و القراءات القرآنية ،والمسائل العقدية ، والقضايا الفقهية ..وغيرها

(*) علم المناسبات القرآنية هو العلم الذي يبحث في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، وفائدته (كما يذكر الزركشي في البرهان ١/٣٦):" جَعْل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ؛ فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " .

وقد اهتم بعض المفسرين اهتماماً خاصاً بإظهار المناسبات القرآنية بين آيات القرآن الكريم وسوره مثل : الفخر الرازي في " مفاتيح الغيب " والبيضاوي في أنوار التأويل وأسرار التنزيل "، والخطيب الشربيني في " السراج المنير " وكذلك أبو حيان في " البحر المحيط " ، بل إن بعض العلماء قد أفرد مصنفات مستقله مثل البقاعي في"نظم الدرر"الذي اجتهد فيه في بيان المناسبات بين السور والآيات بطريقه موسعة،وقد ألف السيوطي أيضاً كتاباً موجزاً بين فيه المناسبات بين سور القرآن الكريم أسماه' تناسق الدرر في تناسب السور" وكذلك عبد الله محمد الصديق الغماري في " جواهر البيان في تناسب سور القرآن".

(١) التفسير والمفسرون ١/٣٠١-٣٠٢.

ومن القضايا التي أولاها أبو حيان عناية خاصة في تفسيره قضية المناسبات القرآنية، بل إنني أبالغ إذا قلت إنه يمكننا استخلاص كتاب مستقل في المناسبات القرآنية بأنواعها المختلفة من تفسير أبي حيان.

هذا، وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث:

١-عناية أبي حيان بالمناسبات القرآنية.

٢-أسس البحث عن المناسبات القرآنية.

٣-أنواع المناسبات القرآنية في تفسير البحر المحيط.

ومَهَّدْت قبل هذه المباحث بتعريف لأبي حيان وبعد هذه المباحث خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

التعريف بأبي حيان

الاسم واللقب والكنية:

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي[1] ويلقب بأثير الدين،وشيخ النحاة، وإمام النحاة.[2]

أماكنيته فيكني بأبي حيان، ويري أبو حيان أن كنيته هذه غريبة، وأنها السبب في شهرته فقال: إذا كانت الكنية غريبة لا يكاد ويشترك فيها أحد مع من تكني بها في عصره،فإنها يطير بها ذكره في الآفاق وتتهادي أخباره الرفاق كما جري في كنيتي بأبي حيان واسمي محمد فلو كانت كنيتي أبا عبد الله أو أبا بكر مما يقع فيه الاشتراك لم أشتهر تلك الشهرة.[3]

مولده ووفاته:

ولد أبو حيان بغَرْنَاطة[4] في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة[5] ، وتوفي بالقاهرة بعد أن كف بصره في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين

([1])انظر ترجمته في:الدرر الكامنة ٤/١٨٥-١٨٩،وطبقات الشافعية الكبري ٩/٢٧٦-٢٧٩، والاحاطة ٣/٤٣-٦٠،ونفح الطيب ٣/١٤١-١٨٦،والنجوم الزاهرة ١٠/٩١-٩٣، وطبقات الفقهاء الشافعية ٢/١٤١-١٤٣، وفوات ، وقوات الوفيات ٤/٧١-٧٩، وحسن المحاضرة١/٥٣٤-٥٣٦،وبغية الوعاة ١/٢٨٠-٢٨٥.

وطبقات المفسرين للداودي/٢٨٧-٢٩١، والبدر الطالع ٢/٢٨٨-٢٩١،وشذرات الذهب ٦/١٤٥-٥٣، ومعجم المؤلفين ٣/٧٨٤-٧٨٥، وهدية العارفين ٢/١٥٢-١٥٣.

([2]) يري أبو حيان أن اللقب إن دل علي ما يكرههالمدعو به كان منهيا عنه ، وأما إن كان حسناً فلا ينهي عنه ، وما زالت الألقاب الحسنة في الأمم من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم وماتباتهم من غير نكير . انظر : البحر المحيط ٨/١١٣.

([3]) انظر :البحر المحيط ٨/١١٣

([4])غَرْنَاطة:هي إحدي المدن الأندلسية، ومعناها:رمانة بلسان عجم الفرس باسُميَّ البلد بذلك لحسنه. انظر معجم البلدان ٤/١٩٥.

([5])انفرد لسان الدين الخطيب من بين من ترجموا لأبي حيان بأن مولده كان عام اثنين وخمسين وستمائة.انظر الإحاطة ٣/٦٠ .

وسبعمائة ،ودفن بمقبرة الصوفية ،وكانت جنازته حافلة.

شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ أبو حيان علي كوكبة متميزة من شيوخ عصره في الأندلس ومصر وغيرهما.

قال ابن حجر: بلغت عدة شيوخه أربعمائة، وأجاز له جمع جم، وقد جمعهم في كتاب "البيان في شيوخ أبي حيان فبلغوا ألفاً وخمسمائة.[1]

ومن شيوخه:أبو جعفر بن الزبير،وأبو جعفر بن الطباع، وأبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري... وغيرهم.

وأخذعنه أكابر عصره وتقدموا في حياته كالشيخ تقي الدين السبكي وولديه ،والجمال الإسنوي، وابن عَقيل وسراج الدين البلقيني.. وغيرهم.[2]

رحلته من الأندلس إلي مصر:

رحل أبو حيان من الأأندلسى إلي مصر سنة تسع وسبعين وستمائة[3]،وكان سبب رحلته أن حَمَلَتْه حدة الشبيبة علي التعرض للأستاذ أبي جعفر بن الطباع، وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير وقعة؛ فنال منه وتصدي لتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته،فرفع أمره إلي السلطان، فأمر بإحضاره وتنكيله فاختفى ،ثم ركب البحر، ولحق بالمشرق.[4]

وذكر السيوطي سبباً آخر لرحلته إلي المشرق حيث قال:ورأيت في كتاب النضار الذي ألفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلة أن مما قوي عزمه علي الرحلة عن غَرْناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضِيّ والطبيعي قال السلطان:إني قد كبرت وأضاف أن أموت، فأري أن ترتب لي طلبه أعلمهم هذه العلوم،

---

(1)الدرر الكامنة ١٨٨/٤

(2)انظر طبقلت المفسرين للداودي ٢٨٨/٢.

(3)نفح الطيب ١٨٦/٣.

(4)انظر الاحاطة ٤٦/٣-٤٧،ونفح الطيب ١٨٦/٣ وبغية الوعاة٢٨١/١، وطبقات المفسرين للداودي ٢٨٨/٢، وشذرات الذهب ١٤٦/٦، والبدر الطالع ٢٨٩/٢-٢٩٠.

لينفعوا السلطان مـــن بعدي قال أبو حيان: فأشير إلي أن أكون من أولئك،ويرتب لي راتب جيد وكُسا وإحسان، فتمنعت ورحلت محافة أن أُكره علي ذلك.[1]

مكانته العلمية:

تتجلي المكانة العلمية لأبي حيان الأندلسي من خلال الأوصاف التي خلعها عليه العلماء، وممن أجاد في وصفه لسان الدين ابن الخطيب حين قال:كان نسيج وحده في ثقوب الذهن،وصحة الإدراك والحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير، وطريق الرواية،إمام النحاة في زمانه.[2]

وقد وصفه السبكي بقوله: شيخ النحاه،العلم الفرد، والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد،سيبوية الزمان ، والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران، وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء، ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصنعاء كعبة علم تُحج ولا تَحُجّ، ويفصد من كل فج...[3]

وقال عنه ابن قاضى شهبة :" الشيخ الإمام العلاقة الحافظ النحوي اللغوي فريد الدهر ،وشيخ النحاة في غصره وإمام المفسرين في وقته، وصاحب التصانيف المشهورة التي سادت شرقا وغربا.[4]

([1])بغية الوعاة١/٢٨١

([2])الإحاطة ٣/٤٣.

([3]) طبقات الشافعية الكبري ٩/٧٦.

([4])طبقات الفقهاء الشافعية ٢/١٤١-١٤٢.

آثاره العلمية :

خلف أبو حيان مؤلفات كثيرة انتشرت في حيلته ، وبعد وفاته في كثير من أقطار الأرض ، وتلقاها الناس بالقبول ،ومن هذه المؤلفات :

-البحر المحيط .

-إرتشاف الضرب من لسان العرب .

-التذليل والتكميل في شرح التسهيل .

-تقريب المقرب لابن عصفو .

-إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب .

-عقد اللآلئ .

المناسبات القرآنية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلس

لقد اعتنى أبو حيان عناية خاصة بالمناسبات القرآنية فى تفسيره وكان مولعاً بإظهار الترابط بين آيات القرآن الكريم وسوره يَلْحظ ذلك من يقرأ خطبة الكتاب حيث ذكر أنهَ يشرع فى تفسير الآية بذكر سبب نزولها ،ثم ذكر مناسبتها وارتباطها بما قبلها [1] ومن يطالع تفسيره يتأكد له ذلك.

وعناية أبى حيان بالمناسبات القرآنية تجلى فيما يلى:

١- البدء بعلم المناسبات فى التفسير.

٢- الثناء المستمر على ترتيب القرآن.

٣- الاجتهاد فى استنباط وجوه المناسبات القرآنية.

٤- اختيار التفسير الذى يناسب السياق.

١- البدء بعلم المناسبات فى التفسير:

كان أبو حيان غالباً ما يبدأ تفسيره للآية الكريمة بذكر المناسبة بينها وبين الآيات السابقة عليها، خاصة إذا لم يذكر سبباً لنزول الآية.

والمناسبة التى يبدأ بها – غالباً – الرازى تفسير الآية الكريمة تأتى على صورتين:

الأولى: أن يصرح بلفظ المناسبة من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً][2] قال أبو حيان: مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين:

أحدهما: أنه لما نازعوا الرسول – عليه السلام – فى النبوة، واقترحوا عليه الآيات، كان فى ذلك لكبرهم وحسدهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – على ما آتاه الله من

---

(1) انظر: البحر المحيط ٤/١

(2) سورة الإسراء آية / ٦١ ، ٦٢.

النبوة والدرجة الرفيعة، فناسب ذكر قصة آدم – عليه السلام – وإبليس، حيث حمله الكبر والحسد على الامتناع على السجود.

والثاني: أنه لما قال [فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً][1] بيَّن ما سبب هذا الطغيان، وهو قول إبليس لأحتنكن ذريته إلا قليلا [2] .

الثانية: أن تأتى المناسبة فى صورة جملة شرطية مستعملاً أداة الشرط "لما" من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى [وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ] [3] قال: لما أمرهم بالتوكل عليه ذكَّرهم بما يوجب التوكل عليه وهو ما سنى لهم ويسر من الفتح والنصر يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة ؛إذ كان ذلك النصر ثمرة التوكل عليه والثقة به [4]

الثناء المستمر على ترتيب القرآن :

ومما يدل على عناية أبى حيان بعلم المناسبات القرآنية الثناء المستمر على ترتيب القرآن الكريم، فتارة يصف الترتيب القرآنى بالفصاحة نرى ذلك مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ..][5] قال: وهذا الترتيب فى غاية الفصاحة، لأن الإيمان بالله هى المرتبة الأولى وهى التى يستبد بها العقل، إذ وجود الصانع يقر به كل عاقل، والإيمان بملائكته هى المرتبة الثانية؛ لأنهم وسائط بين الله وعباده، والإيمان بالكتب هو الوحى الذى يتلقنه الملك من الله يوصله إلى البشر هى المرتبة الثالثة، والإيمان بالرسل الذين يقتبسون أنوار الوحى فهم متأخرون فى الدرجة عن الكتب هى المرتبة الرابعة[6].

---

(1) سورة الإسراء آية/ ٦٠.
(2) البحر المحيط ٥٧/٦.
(3) سورة آل عمران آية / ١٢٣.
(4) البحر المحيط ٤٧/٣.
(5) سورة البقرة آية / ٢٨٥.
(6) البحر المحيط ٣٦٤/٢.

وتارة أخرى يصف الترتيب القرآنى بالحسن من ذلك مثلاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى [وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ][1] قال: وما أحسن ما ترتب نفى هذه الجمل، نفى أولاً تنزيل الشياطين به والنفى فى الغالب يكون فى الممكن، وإن كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل بالقرآن، ثم نفى انبغاء ذلك والصلاحية، أى: ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له، ثم نفى قدرتهم على ذلك وأنهم مستحيل فى حقهم التنزل به فارتقى من نفي الإمكان إلى نفى الصلاحية إلى نفى القدرة والاستطاعة، وذلك مبالغة مترتبة فى نفى تنزيلهم به [2].

وأحياناً يصف الترتيب القرآنى بالإبداع من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى [أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ][3] قال أبو حيان: وما أبدع هذا الترتيب أمراً أولا أن يخبرهم بأنه لا يوافقهم فى الشهادة، ولا يلزم من ذلك إفراد الله بالألوهية؛ فأمر ثانياً ليجتمع مع انتفاء موافقتهم إثبات الوحدانية لله تعالى، ثم أخبر ثالثاً بالتبرؤ من إشراكهم، وهو كالتأكيد لما قبله. [4]

ولا يكاد أبو حيان يذكر مناسبة قرآنية إلا ويثنى على ترتيب القرآن الكريم، وها هى ذى بعض عباراته فى ذلك:

يقول: "فانظروا إلى حسن هذه الفصول التى انتظمت انتظام الدر فى أسلاكها، والزهر فى أفلاكها كل فصل منها قد ختم بمناسبة وارتقى فى ذروة الفصاحة إلى أعلى مناصبه، واردًا من الله على لسان محمد أمينه، لسان من لم يتل من قبله كتاباً ولا خطه بيمينه" [5].

---

(1) سورة الشعراء آية / ٢١٠-٢١١.
(2) البحر المحيط ٧ / ٤٦.
(3) سورة الأنعام آية / ١٩.
(4) البحر المحيط ٤/٩٢.
(5) البحر المحيط ١/٢٠٣.

ويقول جاءت هذه الآيات متناسقة تناسق اللآلئ فى عقودها متضـــحة اتضـــاح الدرارى فى مطالع سُعودها، مُعْلِمة صدق من أتى بها، وهو ما قرأ الكتـــب ولا دارس ولا رحل، ولا عاشر الأحبار ولا مارس [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى] (١) صلى الله عليه وأوصل أزكى تحية إليه. (٢)

ويقول: وجاءت هذه الجمل من ابتداء ذكر إبراهيم إلى انتهاء الكلام فيه – على اختلاف معانيه وتعدد مباينه – كأنها جملة واحدة فى حسن مساقها، ونظـــم اتســـاقها، مرتقية فى الفصاحة إلى ذروة الإحسان، مفصحة أن بلاغتها خارجة عن طبع الإنسان، مذكّرة قوله [لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ](٣) جعلنـــا الله ممن هُدى إلى عمل به وفهم، ووفّى فى تدبره أوفرسهم، ووُقِيَ فى تدبره مـــن خطـــأ ووهم. (٤)

ويقول: وجاءت هذه الآية شديدة الالتئام، مستحكمة النظام، منسوقاً بعضها على بعض ولا كنسق اللآلئ، مشرقة الدلالة ولا كإشراق الشمس فى برجها العالى، ســـامية فى الفصاحة إلى أعالى الذُّرى، معجزة أن يأتى بمثلها أحد من الورى. (٥)

الاجتهاد فى استنباط وجوه المناسبات القرآنية:

ومما يدل على عناية أبى حيان بعلم المناسبات القرآنية –أيضاً–عـــدم اكتفائـــه بذكر وجه واحد للمناسبة بين الآيات، وإنما يجتهد فى استنباط أكثر من وجه للربط بين الآيات، ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى [وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَـــانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] (٦)يربط بين هذه الآية وبين مـــا

---

(١) سورة النجم آية / ٣-٥.
(٢) البحر المحيط ٢٣٦/١.
(٣) سورة الإسراء آية /٨٨.
(٤) البحر المحيط ٤١٧/١.
(٥) البحر المحيط ٨٢/٢.
(٦) سورة البقرة آية /٢٤٤.

سبقها من الآيات فيقول: ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أمر بتقوى الله تعالى وحذرهم يوم الميعاد نهاهم عن ابتذال اسمه وجعله معرضاً لما يحلفون عليه دائماً، لأن من يُتّقى ويحذر تجنب صيانة اسمه وتنزيهه عما لا يليق به من كونه يذكر فى كل ما يُحلف عليه من قليل أو كثير ،عظيم أو حقير؛ لأن كثرة ذلك توجب عدم الاكتراث بالمحلوف به، وقد يكون المناسبة بأنه تعالى لما أمر المؤمنين بالتحرز فى أفعالهم السابقة من الخمر والميسر، واتفاق العفو، وأمر اليتامى، ونكاح من أشرك، وحال وطء الحائض أمرهم تعالى بالتحرز فى أقوالهم فانتظم بذلك أمرهم بالتحرز فى الأفعال والأقوال[1].

وعند تفسير أبى حيان لقوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ][2] يربط بين هذه الآية الكريمة وما قبلها بقوله: ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر النساء والنشوز والمصحة أعقبه بالقيام بحقوق الله تعالى، وفى الشهادة حقوق الله، أو لأنه لما ذكر تعالى طالب الدنيا وأنه عنده ثواب الدنيا والآخرة بين أن كمال السعادة أن يكون قول الإنسان وفعله لله تعالى، أو لأنه لما ذكر فى هذه السورة وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى والإشهاد عند دفع أموال اليتامى إليهم، وأمر ببذل النفس والمال فى سبيل الله وذكر قصة ابن أبيرق واجتماع قومه على الكذب والشهادة بالباطل، وندب للمصالحة أعقب ذلك بأن أمر عباده المؤمنين بالعدل والشهادة لوجه الله سبحانه وتعالى[3]

ويتضح جلياً مما سبق ولع أبى حيان بهذا العلم الذى يحتاج إلى جهد ومثابرة واجتهاد فى استنباط هذه الأسرار المودعة فى هذا الترتيب القرآنى.

---

(1) البحر المحيط ١٧٦/٢.

(2) سورة النساء آية /١٣٥.

(3) البحر المحيط ٣٦٨/٣.

اختيار التفسير الذى يناسب السياق:

لقد حرص أبو حيان الأندلسى فى تفسيره على أن يختار التفسير الذى يعضده السياق، بحيث لا يكون الكلام منبتاً عن سابقه ولا لاحقه. نرى ذلك مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى [وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ][1] حيث قال: ظاهر الكلام أنها نزلت فى اليهود المذكورين فى الآية التى قبل هذه الآية. قاله ابن عباس [2]، ثم يسوق أبو حيان أقوالاً أخرى غير قول ابن عباس قائلاً: "وقيل فى المجوس قاله على بن أبى طالب، وقيل فى اليهود والمنافقين، وقال عكرمة والضحاك فى نصارى العرب، فإنهم كانوا لا يحسنون الكتابة، وقيل فى قوم لم يؤمنوا بكتاب ولا برسول، فكتبوا كتابهم وقالوا هذا من عند الله، فسموا أميين لجحودهم هذا الكتاب؛ فصاروا بمنزلة من لا يحسن شيئاً" [3]

وبعد أن عرض أبو حيان هذه الأقوال اختار القول الأول لأنه يناسب السياق فقال: والقول الأول هو الأظهر؛ لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود فالضمير لهم [4].

ومن الأمثلة على ذلك – أيضاً – ما ذكره عند تفسير قوله تعالى [وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] [5] قال أبو حيان: "لما ذكر تعالى ما جرى لفرعون وأتباعه من الهلاك ذكر ما أحسن به لبنى إسرائيل وما امتن به عليهم إذ كان بنوا إسرائيل قد أخرجوا من مساكنهم خائفين من فرعون فذكر تعالى أنه قد اختار لهم من الأماكن أحسنها، والظاهر أن بنى إسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى ونجوا

---

(1) سورة البقرة آية / ٧٨.
(2) البحر المحيط ١/٢٧٥.
(3) البحر المحيط ١/٢٧٥.
(4) البحر المحيط ١/٢٧٥.
(5) سورة يونس آية /٩٣.

من الغرق، وسياق الآيات يشهد لهم، وقيل: هم الذين كانوا بحضرة النبى – صلى الله عليه وسلم – من بنى إسرائيل: قريظة والنضير وبنى قينقاع. (١)

وهكذا يختار أبو حيان أن المشار إليهم فى الآية الكريمة هم بنو إسرائيل الذين كانوا مع سيدنا موسى – عليه السلام – بعد أن نجاهم الله – عز وجل من الغرق ؛ لأن هذا هو التفسير الذى يشهد له ويعضده السياق.

وكما رأينا أبا حيان يختار التفسير الذى يتناسب مع سياق الآيات ويجعلها وحدة واحدة، فإنه كان يسعى – بكل ما أوتى من قوة – إلى رد التفسير الذى لا يناسب السياق أو يؤدى إلى تفكيك الكلام بعضه من بعض. من ذلك مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى [وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ*يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ](٢) قال أبو حيان: قال ابن عطية: وهذه الآيات من قوله "يوم لا ينفع ما ولا بنون" هى عندى منقطعه من كلام إبراهيم عليه السلام – وهى إخبار من الله عز وجل – تعلق بصفة ذلك اليوم الذى وقف إبراهيم – عليه السلام – عنده فى دعائه أن لا يخزى فيه. انتهى (٣).

ويرى أبو حيان أن هذا التفسير من ابن عطيه يؤدى إلى تفكيك كلام متسق مترابط، وذلك عندما نجعل بعضه من كلام إبراهيم – عليه السلام – وبعضه الآخر من كلام الله عز وجل، ويؤكد أبو حيان ذلك التناسق بأن ابن عطيه نفسه قد أعرب "يوم" الثانية بدلاً من "يوم" الأولى، وهذا الإعراب لا يتأتى إلا إذا كان الكلام فى سياق واحد. قال أبو حيان: وكان ابن عطيه قد أعرب "يوم لا ينفع" بدلاً من "يوم يبعثون" وعلى هذا لا يتأتى هذا الذى ذكره من تفكيك الكلام وجعل بعضه من كلام إبراهيم، وبعضه من كلام الله؛ لأن العامل فى البدل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الأول أو الأول،

---

(١) البحر المحيط ١٩٠/٥.

(٢) سورة الشعراء آية / ٨٧-٨٨.

(٣) انظر المحرر الوجيز٢٣٦/٥.

وعلى كُلا التقديرين لا يصح أن يكون من كلام الله؛ إذ يصير التقدير: ولا تخزنى يوم لا ينفع مال ولا بنون. [1]

ويأخذ الباحث هنا على أبى حيان أنه – أحياناً – يسعى جاهداً لجعل الآيات متناسقة من وجهة نظره، حتى وإن خالف ذلك صحيح سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير الآية الكريمة، نرى ذلك مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[2] حيث قال: روى عن ابن عباس أنها نزلت فى أناس من اليمن يحجون بغير زاد يقولون نحن متزودون بحج بيت الله أفلا يطعمنا، ويكونون كَلاًّ على الناس، وروى عن ابن عمر قال: كانوا إذا أحرموا ومعهم أزودة رموا بها واستأنفوا زاداً آخر؛ فنهوا عن ذلك، وأمروا بالتحفظ بالزاد والتزود. [3].

بعد أن أورد أبو حيان هاتين الروايتين فى سبب نزول الآية الكريمة، تدلان على أن التزود يكون بالطعام وغيره استعداداً لهذه الرحلة المباركة، يذكر أبو حيان أن الذى يدل عليه السياق أن يكون الأمر بالتزود فى الآية هو التزود من الأعمال الصالحة فيقول: فعلى ما روى في سبب نزول هذه الآية أن يكون أمر بالتزود فى الأسفار الدنيوية، والذى يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر وما بعده أن يكون الأمر بالتزود هنا بالنسبة إلى تحصيل الأعمال الصالحة التى تكون له كالزاد إلى سفره للآخرة ألا ترى أن ما قبله "وما تفعلوا من خير يعلمه الله" ومعناه الحث والتحريض على فعل الخير الذى يترتب عليه الجزاء فى الآخرة، وبعده" فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى" [4].

الرواية الأولى التى أوردها أبو حيان ذكرها الواحدى فى سبب نزول الآية[5]

---

(1) البحر المحيط ٨٨/٧.

(2) سورة البقرة آية /١٩٦.

(3) البحر المحيط ٩٢/٢-٩٣.

(4) البحر المحيط ٩٣/٢.

(5) انظر: أسباب النزول ص ٥٦.

وكذلك ذكرها السيوطى [١]، وهى رواية صحيحة أخرجها الإمام البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس؛ فأنزل الله تعالى "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى". [٢]

هكذا بلغ تكلف الشيخ وولعه بطلب المناسبة من خلال السياق حد تعطيل المروى عن من ينطبه البيان لهذا القرآن [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] [٣] وليت أبا حيان تفكر وقدر فجمع بين النص النبوى، وبين ما يروم تحقيقه أو تأكيده من اهتمام القرآن بالعمل الصالح ،وحضه على اصطحابه بل وجعله المقصد الأسنى. ماذا لو أننا فهمنا الأمر بالتزود على حقيقته وأنه اصطحاب الزاد وحسن الاستعداد، ثم التأكيد على ما ينفع يوم المعاد، وليس من ثم أدنى ارتياب فى أن كل زادٍ عرضة النقاد غير التقى وعمل المعاد.

ومن أمثلة ذلك – أيضاً – ما ذكره أبو حيان عند تفسير قوله تعالى [وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ] [٤] حيث ذكر سببين لنزول هذه الآية فقال: قال ابن عباس والزهرى والضحاك نزلت فى كل من منع امرأة من نسائه عن النكاح بغيره إذا طلقها، وقيل نزلت فى ابنة عم جابر بن عبد الله طلقها زوجها وانقضت عدتها، فأراد رجعتها، فأتى جابر وقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها، وكانت المرأة تريد زوجها فنزلت [٥]، وقيل فى معقل ابن يسار وأخته جمل وزوجها

---

(١) انظر: الباب النقول ص ٣٦-٣٧.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح ٤٩٩/٣، الحديث رقم ١٥٢٣: كتاب الحج. باب قول الله تعالى "تزودوا فإن خير الزاد التقوى"، وأخرجه أبو داود فى السنن ١٤١/٢: كتاب المناسك. باب التزود فى الحج.

(٣) سورة النحل آية/٤٤.

(٤) سورة البقرة آية / ٢٣٢.

(٥) هذا السبب ذكره السيوطى فى الباب النقول ص ٤٧.

أبى الوليد عاصم بن عدى بن العجلان جرى لهم ما جرى لجابر فى قصته. ذكر معناه البخارى [1].

بعد أن، ذكر أبو حيان هذين السببين فى نزول الآية الكريمة يستبعد السبب الثانى بقوله: فعلى السبب الأول يكون المخاطبون هم الأزواج، وعلى هذا السبب (أى الثانى) الأولياء، وفيه بعد؛ لأن نسبة الطلاق إليهم هو مجاز بعيد، وهو أن يكون الأولياء قد تسببوا فى الطلاق حتى وقع فنسب إليهم الطلاق بهذا الاعتبار، ويبعد جداً أن يكون الخطاب فى "وإذا طل قهم" للأزواج، وفى "فلا تعضلوهن" للأولياء؛ لتنافى التخاطب، ولتنافر الشرط والجزاء [2].

ثم يؤكد أبو حيان أن يكون المخاطبون بهذه الآية هم الأزواج؛ لأن هذا هو المناسب لسياق الكلام فيقول: فالأولى والذى يناسبه سياق الكلام أن الخطاب فى الشرط والجزاء للأزواج، لأن الخطاب من أول الكلام هو مع الأزواج، ولم يجر للأولياء ذكر، ولأن قبل هذا خطاب مع الأزواج، وفى كيفية معاملة النساء قبل انقضاء العدة، وهذه الآية خطاب لهم فى كيفية معاملتهم معهن بعد انقضاء العدة، ويكون الأزواج المطلقون قد انتهوا عن العضل؛ إذ كانوا يفعلون ذلك ظلماً وقهراً وحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من الأزواج، وعلى هذا يكون معنى " يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ " أى من يردن أن يتزوجن؛ فسموا أزواجاً باعتبار ما يؤولون إليه، وعلى القول بأن الخطاب للأولياء يكون أزواجهم هم المطلقون سموا أزواجاً باعتبار ما كانوا عليه، وإن لم يكونوا بعد العدة أزواجاً. [3]

وبعد هذا العرض لما ذكره أبو حيان فى سبب نزول هذه الآية الكريمة نجده يرجح قول ابن عباس – رضى الله عنهما – الذى يذكر أن المخاطبين هم الأزواج رغم

---

(1) البحر المحيط ٢٠٩/٢، وهذا السبب ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٧١، والسيوطى فى الباب لنقول ص ٤٦-٤٧، ثم قال: وهو الأصح الأقوى.

(2) البحر المحيط ٢٠٩/٢.

(3) البحر المحيط ٢٠٩/٢-٢١٠.

أن الرواية الأخرى صحيحة وموجودة فى الجامع الصحيح للإمام البخارى،[1] ويجب أن لا يعدل عنها إلى غيرها لأى سبب وإن كان سياق الكلام يقتضيه كما ذكر أبو حيان.

([1]) الحديث أخرجه البخارى مختصراً فى الجامع الصحيح (بشرح فتح البارى) ٤٠/٨ الحديث رقم (٤٥٢): كتاب التفسير. باب "وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ، وذكر ابن حجر أن أهل التفسير اتفقوا على أن المخاطب بهذه الآية الأولياء، ثم ذكر رواية أخرى عن ابن عباس غير التى ذكرها أبو حيان تدل على أن المخاطبين فى الآية الكريمة هم الأولياء لا الأزواج فقال: روى ابن عبد المنذر من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس هى فى الرجل يطلق امرأته فتقضى عدتها فيبدو له أن يراجعها، وتريد المرأة ذلك فيمنعها وليها. انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤٠/٨.

والحديث أخرجه البخارى – أيضاً – كاملاً ٨٩/٩ الحديث رقم (٥١٣٠): كتاب النكاح. باب من قال لا نكاح إلا بولى، قال: حدثنا أحمد بن أبى عمرو قال حدثنى أبى قال حدثنى إبراهيم عن يونس عن الحسن قال: "فلا تعضلوهن" قال حدثنى معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: زوجت أختاً لى من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وأفرشتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها، لا – والله – لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه؛ فأنزل الله هذه الآية "فَلا تَعْضُلُوهُنَّ " فقلت الآن أفعل يا رسول الله، فزوجها إياه. وأخرجه أيضاً فى ٣٩٢/٩ الحديث رقم (٥٣٣٠): كتاب الطلاق. باب (وبعولتهن أحق بردهن) فى العدة وكيف يراجع المرأة إذا طلقها واحدة أو اثنتين، وقوله " فَلا تَعْضُلُوهُنَّ "، وهى هذه الرواية الأخيرة (فترك الحمية واستقاد لأمر الله).

والحديث أخرجه – أيضاً – أبو داود فى السنن ٢٣٠/٢: كتاب النكاح. باب فى العضل، وفيه قال: فكفرت عن يمينى وأنكحتها إياه.

– وأخرجه الترمذى فى السنن ٢٠١/٥: كتاب التفسير. باب (٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ثم قال: وفى هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولى؛ لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيب، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها، ولم يحتج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله فى هذه الآية الأولياء فقال " فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ " ففى هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء فى التزويج مع رضاهن.

المبحث الثاني : أسس البحث عن المناسبات القرآنية :

الناظر في تفسير أبي حيان يلحظ أن اهتمامه بالمناسبات القرآنية ينطلق من عدة اسس كانت هي الدافع للبحث عن أسرار الترتيب القرآني .

هذه الأسس هي :

١-توقيف الترتيب القرآني .

٢-طريقة القرآن في عرض الموضوعات .

١-توقيف الترتيب القرآني :

لقد تحدي الله عزوجل العرب الذين نزل القرآن بلسانهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم حيث يقول تعالي[فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ] (١) وتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن الكريم بقوله تعالي [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ](٢) وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثل القرآن الكريم بقوله تعالي [وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (٣) ، وقوله تعالي [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ](٤) .

وإذا كان التحدي قد وقع في الكل والجزء علي حد سواء ، فلا بد وأن يكون الترتيب في الكل والجزء –السور والآيات – بتوقيف من الله تعالي ، وهذا هو ما يعتقده أبو حيان الأندلسي فيقول : الذي نعتقد أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – هو الذي رتل آيات القرآن الكريم وسوره وليس الصحابه . (٥)

---

(١) سورة الطور آية /٣٤.

(٢) سورة هود آية /١٣.

(٣) سورة البقرةآية /٢٣.

(٤) سورة يونس آية/٣٨.

(٥) البحر المحيط ٤٢١/٣.

وإذا كان هذا الترتيب توقيفياً من الله – عزوجل– فلا بد وأن تكون هناك حكمة لهذا الترتيب تقتضي من العلماء كشفها وبيانها عملاً بقوله تعالي [أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً] (١)

٢-طريقة القرآن في عرض الموضوعات :

هذا الأساس الذي يعتمد عليه أبو حيان في عرض الموضوعات يسميه : أسلوب القرآن أو عادة القرآن ، وهذه الطريقة تقوم علي الربط بين الموضوعات القرآنية المتنوعة برباط يظهر بعد تأمل وروية ، وجاء هذا الأسلوب القراني في عدة صور منها :

١–عادة القرآن في أن يتحدث عن قضية بعينها ، ثم يستطرد منها إلي قضية أخري لمناسبة بين القضيتين أو الموضوعين ، ثم يعود إلي الحديث عن القضية الأولي ، وهذه هي عادة العرب في كلامهم من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالي [فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ](٢) قال أبو حيان : ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر في الآيات قبلها تثبيطهم عن القتال وأتبع ذلك بما أتبع من سوء خطاب المنافقين للرسول –عليه السلام– وفعلهم معه من إظهار الطاعة بالقول وخلافها بالفعل ، وبكّتهم في عدم تأملهم ما جاء به الرسول من القرآن الذي فيه كتب عليهم القتال عاد إلي أمر القتال ، وهكذا عادة العرب تكون في شئ ثم تستطرد من ذلك إلي شئ آخر له به مناسبة وتعلق ، ثم تعود إلي ذلك الأول (٣)

ويؤكد أبو حيان علي استعمال القرآن لهذا الأسلوب عند تفسير قوله تعالي [لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ*وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ

---

(١) سورة النساءآية /٨٢.

(٢)سورة النساءآية /٨٤.

(٣)البحر المحيط ٣٠٨/٣

اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ][1] قال : لما تقدم الكلام في أحوال المنافقين من تخلفهم عن غزوة تبوكواستطرد إلي تقسيم المنافقين إلي اعراب وغيرهم ، وذكر ما فعلوا من مسجد الضرار ، وذكر مبايعة المؤمنين الله في الجهاد ، وأثني عليهم وأنه ينبغي أن يباينوا المشركين حتي الذين ما توافهم ؛بترك الأستغفار لهم، عاد إلي ذكر ما بقي من أحوال غزوة تبوك ، وهذه شنشنة [2] كلام العرب يشرعون في شئ ثم يذكرون بعده أشياء مناسبة ويطيلون فيها ثم يعودن إلي ذلك الشئ الذي كانوا شرعوا فيه [3] .

٢-ومن عادة القرآن أنه يجمع بين آيات العذاب وآيات الرحمة أو أيات الوعد وآيات الوعيد ، أشار إلي أبو حيان إلي ذلك عند تفسير قوله تعالي [وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ] [4] قال : جاءت هذه الآية عقيب آية مختومة باللعنة والعذاب لمن مات غير موحد له تعالي إذ غالب القرآن أنه إذا ذكرت آية عذاب آية رحمة ، وإذا ذكرت آية رحمة آية العذاب[5] .

٣-ومن عادة القرآن -أيضاً-أنه يعقب الحديث عن الموت والبعث بالحديث عن الإنفاق في سبيل الله ، عند تفسير قوله تعالي [مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ][6] قال أبو حيان : مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما ذكر قصة المار علي قرية وقصة إبراهيم وكانا من أدل دليل علي البعث ذكر ما ينتفع به يوم البعث وما يجد جدواه هناك وهو الإنفاق في سبيل الله ، كما

---

(١) سورة التوبة / آية ١١٧-١١٨.

(٢)الشنشنة : هي الطبيعة الخليقة والسجية .انظر لسان العرب ٢٤٣/١٣، وفي المثل "شنشنة نعرفها من أخزام "وهو مثل يضرب للرجل بشبه أياه .انظر مجمع الأمثال ٣٦١/١، وجمهرة الأمثال ٥٤١/١-٥٤٢.

(٣) البحر المحيط ١٠٨/٥.

(٤) سورة البقرة آية /١٦٣

(٥) البحر المحيط ٤٨٥/٣.

(٦) سورة البقرة آية /٢٦١

أعقب قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت بقوله [مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً] (١) ، وكما أعقي قتل داود جالوت وقوله [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا] (٢) بقوله [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ](٣) فكذلك أعقب هنا ذكر الإحياء والإماته بذكر النفقة في سبيل الله وذكر بالبعث وحاض علي اعتقاده ؛ لأنه لو لم يعتقد وجوده كما كان ينفق في سبيل الله(٤) .

٤-ومن عادة القرآن كذلك ختام الآيات التي تتحدث عن قضية بعينها نرى ذلك مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى[شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (٥) قال : وإذا كان التكليف شاقاً تاسب أن يعقب بترضى الشكر، فلذلك ختمت هذه الآية بقوله " [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]لأن قبله ترخيص للمريض والمسافر بالقطر وقوله[يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ]، وجاء عقيب قوله [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ](٦) وقبله[وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ] (٧) ثم قال [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (٨) ، بلأن الصيام والقصاص من اشق التكاليف ، وكذا يجيء أسلوب القرآن فيما هو شاق ، وفيما فيه ترخيص القرآن فيما هو شاق ، وفيما فيه ترخيص أو ترقية ، فيينبغى أن يلي فإنه من محاسن البيان .(٩)

---

(١)سورة البقرة آية /٢٤٥

(٢) سورة البقرةآية /٢٥٣

(٣) سورة البقرةآية /٢٥٤

(٤) البحر المحيط ٤٣٤/٧.

(٥) سورة البقرة آية /١٨٥

(٦)سورة البقرة آية/١٨٣

(٧)سورة البقرة آية/ ١٧٩.

(٨) سورة البقرة آية/ ١٧٩.

(٩) البحر المحيط ٤٥/٢.

وقد حرص أو حيان أن يبين هذه العادة القرآنية عند تفسي قوله تعالى " [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [1]مادل على التصرف التام والملك والاختراع ، وهى فى غاية المناسبة عقيب ماذكر من ذلك قوله تعالى : [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ][2] وهكذا توّه أبوحيان على هذه العادات القرآنية التى لا تكاد تتخلف ، والتي جاء القرآن فيها جاريا على عادة العرب فى كلامهم .

([1]) سورة المائدة/٤٠.

([2]) سورة المائدةآية/١٧.

المبحث الثالث : أنواع المناسبات القرآنية في تفسير أبي حيان :

لقد عُني أبو حيان عناية بالغة باستخلاص المناسبات القرآنية حيث إننا وجدنا تفسيره يزخر بالأنواع المختلفة للمناسبات القرآنية حيث وجدناه يعني بما يلي :

١- المناسبة داخل الآية .

٢-المناسبة بين الآية والآية .

٣- المناسبة بين الآية والقصة .

٤- المناسبة بين القصة والقصة.

٥-المناسبة بين الآيات ذات الموضوع الواحد .

٦- المناسبة بين آيات القصة .

٧- المناسبة بين مفتتح السورة ومختتمها .

٨- المناسبة بين مختتم السورة والسورة .

٩- المناسبة بين السورة والسورة .

وسنحاول فيما يلي تناول هذه الأنواع من المناسبات القرآنية بشيء من التفصيل

١- المناسبة داخل الآية :

قد تشتمل الآية الكريمة علي عدة مضامين أو أقسام أو أجزاء فتحتاج إلي بيان الحكمة من تقديم بعضها علي بعض .

نري ذلك مثلاً عند تفسير أبي حيان لقوله تعالى [ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ][(١)]

يوضح أبو حيان الحكمة من ترتيب تقسيم الحجارة في الآية الكريمة فيقول: " وترتيب تقسيم هذه الحجارة ترتيب حسن جداً وهو علي حسب الترقي فبدأ أولاً بالذي تتفجر منه الأنهار أي خُلق ذا خروق متسعة فلم ينسب إليه في نفسه تفعل

---

(١) سورة البقرة آية/ ٧٤.

ولا فعل أي أنها خُلقت ذات خروق بحيث لايحتاج أن يضاف إليها صدور فعل منها ، ثم ترقي من هذا الحجر إلي الحجر الذي ينفعل انفعالاً يسيراً وهو أن يصدر منه تشقق بحيث ينبع منه الماء، ثم ترقي من هذا الحجر إلي الحجر الذي ينفعل انفعالاً عظيماً بحيث يتحرك و يتدهده [١] من علو إلي أسفل [٢] .

ومن أمثلة ذلك –أيضا– ما ذكره أبو حيان عند تفسيره قوله تعالي [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً][٣] .

يربط أبو حيان بين ترتيب الأمر والنهي في الآية الكريمة فيقول: " وما أحسن ما جاء الترتيب في هذه الآية جاء الأمر أولاً باجتناب الطريق التي لا تؤدي إلي العلم وهو الظن ، ثم نهي ثانياً عن طلب تحقق ذلك الظن فيصير علماً بقوله [وَلا تَجَسَّسُوا]، ثم نهي ثالثاً عن ذكر ذلك إذا علم فهذه أمور ثلاثة مترتبه : ظن ، فَعَلم بالتجسس ، فاغتاب " [٤] .

وجدير بالذكر هنا أن أبا حيان كان حريصاً علي أن يبين أن ختام الآية الكريمة دائماً يأتي متناسباً مع ما جاء في الآية نري ذلك مثلاً عند تفسير قوله تعالي [وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْأِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ] [٥].

---

(١) يتدهده : أي يتدحرج . انظر : أساس البلاغة ٢٨٩/١، مادة :دهدي ، والقاموس المحيط ٤/ ٢٧٩ ، مادة :دَهْدَهَ .

(٢) البحر المحيط ٢٦٧/١.

(٣) سورة الحجرات آية /١٢

(٤) البحر المحيط ١١٥/٨.

(٥) سورة آل عمران آية /١٧٦-١٧٨.

يبين أبو حيان مناسبة ختام كل آية بنوع من العذاب يناسب ما قبله في الآية فيقول : وصف تعالي عذابه في مقاطع هذه الآيات الثلاث بعظيم وأليم ومهين ، ولكل من هذه الصفات مناسبة تقتضي ختم الآية بها .

أما الأولي: فإن المسارعة في الشئ والمبادرة في تحصيله والتحلي به يقتضي جلالة ما سُورع فيه وأنه من النفاسة والعظم بحيث يُتسابق فيه ؛ فختمت الآية بعظم العذاب وهو جزاؤهم علي المسارعة في الكفر ؛ إشعاراً بخساسة ما سابقوا فيه .

وأما الثانية : فإنه ذكر فيها اشتراء الكفر بالإيمان ، ومن عادة المشترى الاغتباط بما اشتراه والسرور به والفرح ، فختمت الآية – لأن صفقته حسرت – بألم العذاب ، كما يجده المشتري المغبون في تجارته .

وأما الثالثة: فإنه ذكر الإمتاع بالمال والبنين والصحة ، وكان هذا الامتاع للتعزز والتمتع والاستطاله ؛ فختمت الآية بإهانة العذاب لهم ، وأن ذلك الإملاء المنتج عنه في الدنيا التعزز والاستطالة مآله في الآخرة إلي إهانتهم بالعذاب الذي يهين الجبابرة " [1] .

ومن الأمثلة علي ذلك – أيضاً – ما ذكره عند تفسير قوله تعالي [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ] [2] .

يبين أبو حيان مناسبة ختام كل آية من الآيتين بما يناسب ما جاء في الآية بقوله :[إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ] ختَما بهذه الجملة تبريا من الظلم واستقبا حاله ، وناسب الظلم

---

(١) البحر لمحيط ٣ /١٢٥.

(٢) سورة المائدة آية / ١٠٦ ، ١٠٧.

هنا لقولهما [وَمَا اعْتَدَيْنَا]والاعتداء والظلم متقاربان ، وناسب ما أقسم عليه شاهد الزور بقوله [لَمِنَ الْآثِمِينَ] لأن عدم مطابقة يمينهما للواقع وكتمهما الشهادة يجران الإثم . (١)

أقول : ويؤكد ذلك – أيضاً –قوله تعالي [وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ] (٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلي أن أبا حيان كان يذكر أن افتتاح الآية واختتامها متناسبان نري ذلك مثلاً عند تفسيره لقوله تعالي [قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (٣) قال أبو حيان: ولما كان صدر الآية مفتتحاً بخطابه تعالي بقوله [قُلْ لا أَجِدُ] اختتم الآية بالخطاب فقال [فَإِنَّ رَبَّكَ]ودل علي اعتنائه به تعالي بتشريف خطابه افتتاحاً واختتاماً (٤)

وعند تفسير قوله تعالي [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ](٥) .

بيّن أبو حيان مناسبة صدر الآية لختامها بقوله :" ولما تقدم [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ] صدر الآية ، جاء أخرها[تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] (٦) .

وقد حرص أبو حيان وهو يبين التناسب بين أجزاء الآية الواحدة أن يقارن بين الآيات المتشابهة ، وأن يبين أن الاختلاف قليلاً في اللفظ بين الآية والأخري كل قد جاء مناسباً في موضعه .

---

(١) البحر المحيط ٤٧/٤

(٢)سورة البقرة آية /٢٨٣.

(٣) سورة الأنعام أية /١٤٥.

(٤)البحر المحيط ٢٤٣/٤.

(٥) سورة الأعراف آية /٥٤ .

(٦) البحر المحيط ٣٠١/٤ .

من أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالي[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] (١) .

يقارن أبو حيان بين قوله تعالي في هذه الآية الكريمة [بِغَيْرِ حَقٍّ] بالتنكير ، وبين قوله تعالي [بِغَيْرِ الحَقِّ]بالتعريف في سورة البقرة حيث يقول تعالي [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] (٢). ويبين أن كلا التعبيرين جاء مناسباً في موضعه بقوله : وجاء في هذه السورة (سورة آل عمران) [بِغَيْرِ حَقٍّ] بصيغة التنكير وفي البقرة [بِغَيْرِ حَقٍّ] بصيغة التعريف ؛ لأن الجملة هنا أُخرجت مخرج الشرط ، فناسب أن يكون المنفي بصيغة التنكير حتي يكون عاماً ، وفي البقرة جاء في صورة الخبر عند ناس معهودين ، وذلك قوله [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ](٣) فناسب أن يأتي بصيغة التعريف؛ لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفاً كقوله [وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ](٤) .فالحق هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف بخلاف ما في هذه السورة (٥) .

وقد أكد ذلك أبو حيان عند تفسيره لآية سورة البقرة بقوله : وعرَّف الحق هنا ؛ لأنه أشير به إلي المعهود في قوله عليه السلام" لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى

---

(١) سورة آل عمران آية / ٢١ .
(٢) سورة البقرة آية /٦١.
(٣)سورة البقرة آية / ٦١
(٤)سورة المائدة آية /٤٥ .
(٥)البحر المحيط ٢/٤١٤ .

ثلاث"[١] . وأما المنكّر فالمراد به تأكيد العموم ، أي لم يكن هناك حق يعرفه المسلم ولا غير المسلم [٢] .

ونري ذلك – أيضاً – عند تفسيره : لقوله تعالي [تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْأِكْرَامِ] [٣] حيث فرَّق أبو حيان بين استعمال هذه الآية في هذا الموضع ، وبين قوله تعالي [وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْأِكْرَامِ] [٤] في موضع آخر فيقول : ولما ختم نعم الدنيا بقوله [وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْأِكْرَامِ] ختم نعم الآخرة بقوله [تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْأِكْرَامِ]وناسب هنالك ذكر الديمومة له تعالي إذ ذكر فناء العالم ، وناسب هنا ذكر ما اشتق من البركة وهي النمو والزيادة إذ جاء ذلك عقيب ما امتن به علي المؤمنين وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته [٥] .

وهكذا لايفوت أبا حيان أن يلحظ هذا الفرق الدقيق في الأسلوب بين الآيتين الكريمتين مبيناً أن الآية الأولي تدل علي بقاء وجهه تعالي بعد فناء الدنيا بما فيها لقوله تعالى [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] [٦] . أما في دار النعيم والخلود فيناسب أن يفيض عليهم بخيره وبركته سبحانه وتعالي .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (بشرح فتح الباري): كتاب الديات . باب قول الله تعالي [أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]١٢/٢٠٩ الحديث رقم ٦٨٧٧ عن عبد الله قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث ، النَّفْسَ بِالنَّفْسِ واليثب الزاني ، والمفارق لدينه التارك للجماعة) ، وأخرجه مسلم في صحيحه (بشرح النووي) : كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم ١١/٢١٣ الحديث رقم ١٦٧٦ .

(٢) البحر المحيط ١/٢٧٣.

(٣) سورة الرحمن آية /٧٨.

(٤) سورة الرحمن آية /٢٧.

(٥) البحر المحيط ٨/٢٠٠.

(٦) سورة القصص آية /٨٨ .

٢-المناسبة بين الآية و الآية :

لقد عُني أبو حيان عناية خاصة بذكر المناسبة بين الآية والآية فلا تكاد تمر آية من آيات القرآن إلا ويبين مناسبتها لما قبلها سواء كانت المناسبة ظاهرة واضحة أو خفية لا يدركها إلا من فتح اله عليه لكشف أسرار هذا الترتيب القرآني

ومن الأمثلة علي ذلك ما ذكره عند تفسيره للآية التي ختمت بها آيات الصيام وهي قوله تعالي [وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ][1] . يقول أبو حيان :ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة ، وذلك أن من يعبد الله تعالي بالصيام فحبس نفسه عما تعوده من الأكل والشرب والمباشرة بالنهار ثم حَبَس نفسه بالتقييد في مكان تعبد الله تعالي صائماً ممنوعاً من اللذة الكبري بالليل والنهار جدير أن لا يكون مطعمه ومشربه إلا من الحلال الخالص الذي ينور القلب ويزيده بصيرة ، ويفضى به إلي الاجتهاد في العبادة ، فلذلك نهي عن أكل الحرام المفضي به إلي عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه ، وتخلل أيضاً بين آيات الصيام آية إجابه سؤال الداعي وسؤال العباد الله تعالي ، وقد جاء في الحديث أن من كان مطعمه حراماً وملبسه حراماً ومشربه حراماً ، ثم سأل الله أني يستجاب له [2] ، فناسب –أيضاً– النهي عن أكل المال الحرام . ويجوز أن تكون المناسبة أنه لما أوجب عليهم الصوم كما أوجبه علي من كان من قبلهم ، ثم خالف بين أهل الكتاب وبينهم فأحل لهم الأكل والشرب والجماع في ليالي الصوم ،أمرهم أن لا

---

(١) سورة البقرة آية /١٨٨.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (بشرح النووي) : كتاب الزكاة .باب كل نوع من المعروف صدقة ، الحديث رقم :١٠١٥ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "يأيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وقال يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ]ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلي السماء يارب يارب =ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب له " ، وأخرجه الترمذي في السنن : كتاب التفسير باب (٣) ٢٠٥/٥ ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب

يوافقوهم في أكل الرّشا من ملوكهم وسفلتهم وما يتعاطونه من الربا وما يستبيحونه من الأموال بالباطل كما قال تعالي[وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً] (١) [لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ] (٢) [أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ] (٣) وأن يكونوا مخالفيهم قولاً وفعلاً وصوماً وفطراً وكسباً واعتقاداً (٤)

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره أبو حيان عند تفسير قوله تعال [وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ](٥) حيث قال : ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر تعالي حكم اليتامي في المخالطة وكانت تقتضي المناكحة وغيرها حتي إن بعضهم فسرها بالمصاهرة فقط ، وكان من اليتامي من يكون من أولاد الكفار نهي الله تعالي عن مناكحة المشركات والمشركين ، وأشار إلي العلة المسوغة للنكاح وهي الأخوة الدينية فنهي عن نكاح من لم تكن فيه هذه الأخوة ، واندرج يتامي الكفار في عموم من أشرك. ومناسبة أخرى أنه لما تقدم حكم الشرب فى الخمر والأكل في الميسر، وذكر حكم المنكح فكما حرم الخمر من المشروبات وما يجر إليه الميسر من المأكولات حرم المشركات من المنكوحات(٦) .

٣- المناسبة بين الآية والقصة :

من ذلك ماذكره عند تفسيره لقوله تعالي [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الموت فقال لهّم الله موتوا ثم احيهم إن الله لذو فضل علي الناس ولكن الناس

---

(١) سورة البقرة آية /١٧٤ .
(٢) سورة آل عمران آية ٧٥.
(٣) سورة المائدة آية / ٤٢ .
(٤) البحر المحيط ٢/٥٥.
(٥) سورة البقرة آية /٢٢١.
(٦) البحر المحيط ٢/١٦٣.

لايشكرون][1] قال أبو حيان : مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالي متي ذكر شيئاً من الأحكام التكليفية أعقب ذلك بشئ من القصص / علي سبيل الأعتبار للسامع فيحمله ذلك علي الانقياد وترك العتاد ، وكان تعالي قد ذكر أشياء من أحكام الموتي ومن خالفوا فأعقب ذلك بذكر هذه القصة العجيبة وكيف أمات الله هؤلاء الخارجين من ديارهم ثم أحياهم في الدنيا ، فكلما كان قادراً علي إحيائهم في الدنيا هو قادر علي إحياء المتوفين في الآخرة فيجازي كلا منهم بما عمل ففي هذه القصة تنبيه علي المعاد وأنه كائن لا محاله فيليف بكل من عاقل أن يعمل لمعاده بأن يحافظ علي عبادة ربه، وأن يوفي حقوق عباده [2]

من أمثلة ذلك – أيضاً- ما ذكره عند تفسير قوله تعالي [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ][3] .

يربط الرازي بين قصة إبراهيم عليه السلام وما قبلها بقوله :لما ذكر قوله تعالي [قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا] [4] ناسب ذكر هذه الآية هنا ، وكان التذكار بقصة إبراهيم –عليه السلام- مع أبيه وقومه أنسب لرجوع العرب إليه إذ هو جدهم الأعلي فذكروا بأن إنكار هذا النبي محمد صلي الله عليه وسلم عليكم عبادة الأصنام هو مثل إنكار جدكم إبراهيم علي أبيه وقومه عبادتها ، وفي ذلك التنبيه علي اقتفاء من سلف من صالحي الآباء والأجداد ، وهم وسائر الطوائف معظِّمون لإبراهيم عليه السلام [5].

---

(١) سورة البقرة آية /٢٤٣.

[2] البحر المحيط ٢/٢٤٨-٢٤٩.

[2] سورة الأنعام آية /٧٤.

[3] سورة الأنعام آية /٧١.

[5] البحر المحيط ٤/١٦٣.

٤-المناسبة بين القصة والقصة :

كما اجتهد أبو حيان في الكشف عن المناسبة بين القصة والآية ، فإنه اجتهد- أيضاً – في الكشف عن المناسبة بين القصة والقصة كربطه بين قصة مريم وقصة يحي-عليهما السلام -في سورة آل عمران عند تفسيره لقوله تعالي [وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ][1] يقول : " وفي هذه الأوصاف تشابه من أوصاف مريم عليها السلام ، وذلك أن زكريا لما رأي ما اشتملت عليه مريم من الأوصاف الجميلة ، وما خصها الله تعالي به من الخوارق للعادة دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة ، فأجابه إلي ذلك ، ووهب له يحيي علي وفق ما طلب ، فالتصديق مشترك بين مريم ويحي ، وكانت مريم سيدة بني إسرائيل بنص الرسول في حديث فاطمة وكان يحيي سيدا فاشتركا في هذا الوصف ، وكانت مريم عذراء بتولا لم يمسسها بشر ، وكان يحي لا يقرب النساء ، وكانت مريم أتاها الملك رسولاً من عند الله ، وحاورها عن الله بمحاورات ، حتي زعم قوم أنها كانت بنية ، وكان يحي نبياً ، وحقيقة النبوة أن يوحي الله إليه فقد اشتركا في هذا الوصف .[2]

ومن ذلك- أيضاً- ربطه بين قصة إبراهيم ونوح عليهما السلام – عند تفسيره لقوله تعالي [وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ][3]حيث قال أبو حيان : لما ذكر شرف أبناء إبراهيم ذكر شرف آبائه فذكر نوحاً الذي هو آدم الثاني ، وقال "من قبل " تنبيهاً علي قدمه ، وفي ذكره لطيفة ، وهي أن نوحاً -عليه السلام – عبدت الأصنام في زمانه ، وقومه أول قوم عبدوا الأصنام ، ووحَّد هو الله تعالي ودعا إلي عبادته، ورفض تلك الأصنام وحكي الله عنه مناجاته لربه في قومه حيث قالوا [وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً

---

[1] سورة آل عمران آية /٣٩.

(٢)البحر المحيط ٢/٤٤٩.

(٣) سورة الأنعام آية /٨٤.

وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً][1] وكان إبراهيم عُبدت الأصنام في زمانه ،ووحَّد الله تعالي ودعا إلي رفضها ، فذكر الله تعالي نوحاً وأنه هداه كما هدي إبراهيم [2].

٥- المناسبة بين الآيات ذات الموضع الواحد :

حرص أبو حيان أن يربط بين الآيات التي يجمعها موضوع واحد نري ذلك مثلا عند تفسيره لقوله تعالي [يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ *وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ* وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ] [3]

هذه الآيات خطاب من الله –عز وجل– لبني إسرائيل بمجموعة من الأوامر والنواهي ، وقد أكد أبو حيان أن هذه الآيات مترتبة ترتيباً عجيباً به يظهر فضل كلام الله –عز وجل – علي سائر الكلام حيث قال : هذه الجمل وإن كانت معطوفات بالواو التي لا تقتضي في الوضع ترتيباً ترتيُب عجيبُ من حيث الفصاحة وبناء الكلام بعضه علي بعض ، وذلك أنه تعالي أمرهم أولاً بذكر النعمة التي أنعمها عليهم إذ في ذلك ما يدعو إلي محبة المنعم ووجوب إطاعته ثم أمرهم بإيفاء العهد الذي التزموه للمنعم ، ثم رغبهم بترتيب إيفائه هو تعالي بعهدهم فى الإيفاء بالعهد، ثم أمرهم بالخوف من نقماته إن لم يوفوا، فاكتنف الأمر بالإيفاء أمر بذكر النعمة والإحسان، وأمرَ بالخوف من العصيان، ثم أعقب ذلك بالأمر بإيمان خاص وهو ما أنزل من القرآن، ورغب فى ذلك بأنه مصدق لما معهم، فليس أمراً مخالفاً لما فى أيديهم، لأن الانتقال إلى الموافق أقرب من الانتقال إلى المخالف، ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس، ثم أمرهم تعالى باتقائه، ثم أعقب ذلك بالنهى عن لبس الحق بالباطل وعن كتمان الحق، فكان الأمر بالإيمان أمراً بترك الضلال، والنهى عن لبس الحق بالباطل وكتمان الحق تركاً

---

(١) سورة نوح آية /٢٣.

(٢) البحر المحيط ١٧٢/٤-١٧٣.

(٣) سورة البقرة الآيات ٤٠-٤٣.

للإضلال، ولما كان الضلال ناشئاً عن أمرين: إما تمويه الباطل حقاً، إن كانت الدلائل قد بلغت المستتبع، وإما عن كتمان الدلائل إن كانت لم تبلغه، أشار إلى الأمرين بـــ"وَلا تَلْبِسُوا"و " وَتَكْتُمُوا"، ثم قبح عليهم هذين الوضعين مع وجود العلم ثم أمرهم بعد تحصيل الإيمان وإظهار الحق بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، إذ الصلاة آكد العبادات البدنية، والزكاة آكد العبادات المالية، ثم ختم ذلك بالأمر بالانقياد والخضوع له تعالى مع جملة الخاضعين الطائعين. فكان افتتاح هذه الآيات بذكر النعم واختتامها بالانقياد للمنعم، وما بينهما تكاليف اعتقادية وأفعال بدنية ومالية، وبنحو ما تضمنته هذه الآيات من الافتتاح والإرداف والاختتام يظهر فضل كلام الله على سائر الكلام" (١).

ونرى ذلك أيضاً عند تفسيره للآيات من قوله تعالى [لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (٢).

يربط أبو حيان بين هذه التكاليف بقوله: جاءت هذه الآيات حاوية لما يطلب من المكلف من بدء حاله وهو الإيمان بالله، وختم حاله وهو الوصية عند مفارقة هذا الوجود، وما تخلل بينهما مما يعرض من مبار الطاعات وهنات المعاصي من غير استيعاب لأفراد ذلك، بل تنبيها على أفضل الأعمال بعد الإيمان وهو إقامة الصلاة وما بعدها وعلي أكبر الكبائر بعد الشرك وهو قتل النفس، فتعالى مَنْ كلامُه فَصْل وحكمه عَدْل(٣).

---

(١) البحر المحيط ١٨١/١

(٢) سورة البقرة الآيات من ١٧٧-١٨٢.

(٣) البحر المحيط ٢٥/٢

٦-الناسبة بين آيات القصة:

كما يجتهد أبو حيان فى إظهار المناسبة بين الآيات التى تتحدث عن موضوع واحد فإنه يجتهد أيضاً فى تبيان المناسبة بين الآيات التى تتناول الحديث عن قصة بعينها كحديثه عن قصة إبراهيم عليه السلام – فى سورة البقرة من قوله تعالى [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ]إلي قوله تعالي [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ][(١)].

قال أبو حيان: وجاءت هذه الجمل من ابتداء ذكر إبراهيم إلى انتهاء الكلام فيه– على اختلاف معاينة، وتعدد مباينه – كأنه جملة واحدة فى حسن مساقها، ونظم اتساقها، مرتقية فى الفصاحة إلى ذروة الإحسان مفصحة أن بلاغتها خارجة عن طبع الإنسان مذكرة قوله تعالى [قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ][(٢)] جعلنا الله مما هدى إلى عمل به وفهم، ووفى من تدبره أوفرسهم، ووقى فى تفكيره من خطأ ووهم [(٣)].

ونرى ذلك – أيضاً – فى قصة الهدهد مع سيدنا سليمان – عليه السلام – بعد عودته ليبرر سبب غيبته، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى [فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ *إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ][(٤)].

يربط أبو حيان بين هذه الآيات فى قصة الهدهد مع سيدنا سليمان – عليه السلام – بقوله: "وما أحسن انتقالات هذه الأخبار بعد تهدد الهدهد وعلمه بذلك أخبر

---

(١) سورة البقرة الآيات من ١٢٤ – ١٤١.

(٢) سورة الإسراء آية / ٨٨.

(٣) البحر المحيط ٤١٧/١.

(٤) سورة النمل الآيات من ٢٢ – ٢٤.

أولاً باطلاعه على ما لم يطلع عليه سليمان؛ تحصناً من العقوبة بزينة العلم الذى حصل له؛ فتشوف السامع إلى علم ذلك، ثم أخبر ثانياً بتعلق ذلك العلم، وهو أنه من سبأ، وأنه أمر متيقن لا شك فيه فزاد تشوف السامع إلى سماع ذلك النبأ، ثم أخبر ثالثاً عن الملك الذى أوتيته امرأة، وكان سليمان – عليه السلام – قد سأل الله أن يؤتيه ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده، ثم أخبر رابعاً ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التى ليس من شأنها ولا شأن النساء أن تملك فحول الرجال وهو قوله "وأوتيت من كل شيء" وقوله "ولها عرش عظيم"، وكان سليمان له بساط قد صنع له، وكان عظيماً، ولما لم يتأثر سليمان للإخبار بهذا كله إذ هو أمر دنياوى، أخبره خامساً بما يهزه بطلب هذه الملكة ودعائها إلى الإيمان وإفراده بالعبادة فقال "وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله" وهذه الإخبارات من الهدهد كانت على سبيل الاعتذار عن غيبته عن سليمان، وعرف أن مقصد سليمان الدعاء إلى توحيد الله والإيمان به؛ فكان ذلك عذراً واضحاً أزال عنه العقوبة التى كان سليمان قد توعده بها، وقام ذلك الإخبار مقام الإيقان بالسلطان المبين إذ كان فى غيبته مصلحة لإعلام سليمان بما كان خافياً عليه ومآله إلى إيمان الملكة وقومها، وخفى ملك هذه المرأة ومكانها على سليمان وإن كانت المسافة بينهما قريبة [1].

٧- المناسبة بين مفتتح السورة ومختتمها:

ذكر أبوحيان فى مواضع كثيرة من تفسيره المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، من ذلك مثلاً ما ذكره عند تفسيره لآخر سورة المؤمنون عند قوله تعالى [إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] [2] قال: وافتتح السورة بقوله [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ][3]

---

(١) البحر المحيط ٦٧/٧ – ٦٨.

(٢) سورة المؤمنون آية / ١١٧.

(٣) سورة المؤمنون آية / ١.

وأورد فى خاتمتـــها [إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] (١) فانظر تفـاوت مـا بـين الافتتـاح والاختتام(٢).

فإذا كان افتتاح السورة قد أكد فلاح المؤمنين خاتمتها قد أكدت على عدم فلاح الكافرين، فالخاتمة تؤكد على ما جاء فى بداية السورة الكريمة.

ونرى ذلك – أيضاً – عند تفسيره لآخر سورة الشعراء عند قوله تعالى [وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ](٣) قال أبو حيان: الضمير فى "وإنه" عائد على القرآن، أى أنه ليس بكهانة ولا سحر، بل هو من عند الله، وكأنه عاد – أيضاً – إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر ليتناسب المفتتح والمختتم. (٤)

وعند تفسيره لآخر سورة الممتحنة قال: ولما افتتح هذه السورة بالنهى عن اتخاذ الكفار أولياء ختمها بمثل ذلك، تأكيداً لترك موالاتهم، وتنفير المسلمين عن توليهم وإلقاء المودة إليهم (٥).

٨- المناسبة بين مختتم السورة والسورة:

إذا كان أبو حيان أشار إلى مناسبة ما ختمت به السورة لما افتتحت به، فإنه أشار – أيضاً – إلى مناسبة ما ختمت به السورة لكل ما جاء فى السورة الكريمة، من ذلك مثلاً ما ذكره عند تفسير قوله تعالى [لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] (٦) يبين أبو حيان مناسبة هذا الختام لسورة البقرة لكل ما جاء فى السورة من تكاليف وتشريعات فيقول: وناسب ذكر هذه الآية خاتمة لهذه السورة؛ لأنه

---

(١) سورة المؤمنون آية / ١١٧.
(٢) البحر المحيط ٦/٤٢٥.
(٣) سورة الشعراء آية / ١٩٢.
(٤) البحر المحيط ٧/٤٠.
(٥) البحر المحيط ٨/٢٥٩.
(٦) سورة البقرة آية / ٢٨٤.

تعالى ضمنها أكثر علم الأصول والفروع من دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد، والصلاة، والزكاة، والقصاص، والصوم، والحج، والجهاد، والحيض، والطلاق، والعدة، والخلع، والإيلاء، والرضاعة، والربا، والبيع، وكيفية المداينة؛ فناسب تكليفه إياناً بهذه الشرائع أن يذكر أنه تعالى مالك لما فى السماوات وما فى الأرض؛ فهو يلزم من شاء من مملوكاته بما شاء من تعبداته وتكليفاته، ولما كانت هذه التكاليف محل اعتقادها إنما هو الأنفس، وما تنطوى عليه من النيات، وثواب ملتزمها وعقاب تاركها إنما يظهر فى الدار الآخرة؛ نبه على صفة العلم التى بها تقع المحاسبة فى الدار الآخرة بقوله [وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّه] فصفة الملك تدل على القدرة الباهرة، وذكر المحاسبة يدل على العلم المحيط بالجليل والحقير فحصل بذكر هذين الوصفين غاية الوعد للمطيعين، وغاية الوعيد للعاصين.(١)

وعند تفسيره لختام سورة الأنفال قال أبو حيان: وختم السورة بقوله[إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] (٢) فى غاية البراعة إذ قد تضمنت أحكاماً كثيرة فى مهمات الدين وقوامه وتفصيلاً لأحوال؛ فصفة العلم تجمع ذلك كله وتحيط بمبادئه وغاياته. (٣)

٩- المناسبة بين السورة والسورة:

كما عنى أبو حيان بذكر المناسبة بين الآيات، عنى – أيضاً – عناية فائقة بذكر المناسبة بين السور، فلا تكاد تمر سورة فى التفسير دون أن يوضح المناسبة بينها وبين السورة السابقة.

ولقد تعددت طرائق الإشارة من أبى أحيان إلى المناسبة بين السورة وسابقتها؛ فأحياناً نجده يذكر مناسبة السورة كلها للسورة السابقة عليها.

من الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسيره الأول حيث ذكر تعلقها بسورة الكهف بقوله: ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمن السورة قبلها قصصاً عجباً كقصة أهل

---

(١) البحر المحيط ٢/٢٥٩.

(٢) سورة الأنفال آية /٧٥.

(٣) البحر المحيط ٤/٥٢٣.

الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذى القرنين، وهذه السورة تضمنت قصصاً عجباً من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر، وولادة عيسى من غير أب؛ فلما اجتمعا فى هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك. (١)

وعند تفسيره لسورة الجن ذكر وجه المناسبة بينها وبين سورة نوح بقوله: وجه مناسبتها لما قبلها أنه لما حكى تمادى قوم نوح فى الكفر، وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان – عليه الصلاة والسلام – أول رسول إلى الأرض،كما أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذى منهم – عليه الصلاة والسلام – كانوا عباد أصنام كقوم نوح، حتى إنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك فى الأسماء، وكان ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – من القرآن هادياً إلى الرشد، وقد سمعته العرب، وتوقف عن الإيمان به أكثرهم أنزل الله – تعالى – سورة الجن إثر سورة نوح؛ تبكيتاً لقريش والعرب فى كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيراً منهم وأقبل للإيمان، هذا وهم من غير جنس الرسول– صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك بنفس ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس، بخلاف العرب فإنه نزل بلسانهم، وعرفوا كونه معجزاً، وهم مع ذلك مكذبون له، ولمن جاء به؛ حسداً وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده.(٢)

وقد قد أبو حيان مقارنة بين سورة الكوثر وسورة الماعون تبين المناسبة بينهمـــا فقال : ولما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل، وترك الصلاة والرياء، ومنع الزكاة، قابل فى هذه السورة البخل بـــ [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ](٣)، والسهو فى الصلاة

---

(١) البحر المحيط ١٧٢/٦.

(٢) البحر المحيط ٣٤٦/٨.

(٣) سورة الكوثر آية / ١.

بقوله [فَصَلِّ] (١)، والرياء بقوله [لِرَبِّكَ](٤)، ومنع الزكاة بقوله [وَانْحَرْ] (٥) أراد به التصدق بلحم الأضاحي فقابل أربعاً بأربع. (٢)

وبعقده هذه المقارنة بين السورتين الكريمتين بين أبو حيان الصلة الوثيقة بينهما فكل ما جاء فى سورة الماعون جاء ما يقابله فى سورة الكوثر.

وكثيراً ما يشير أبو حيان إلى شدة اتصال أول السورة بآخر السورة التى قبلها؛ لدرجة أنه يذكر أن أول السورة يكمل آخر ما قبلها من ذلك مثلاً عند تفسيره لأول سورة السجدة قال أبو حيان: ولما ذكر تعالى فيما قبلها (أى فى سورة لقمان) دلائل التوحيد من بدء الخلق، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر، وهو الأصل الثانى، وختم به السورة ذكر فى بدء هذه السورة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة. (٣)

ونرى ذلك – مثلاً – عند تفسيره لأول سورة الزلزلة واعتلاقها بآخر سورة البينة حيث قال: ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون فى النار، وجزاء المؤمنين، فكأن قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال: إذا زلزلت الأرض زلزالها. (٤)

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسيره لأول سورة قريش ومناسبته لآخر سورة الفيل فقال: ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، ولا سيما إذا جعلت اللام متعلقة بنفس "فجعلهم" وهو قول الأخفش، أو بإضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش، وهو

(١، ٤، ٥) سورة الكوثر آية / ٢.

(٢) البحر المحيط ٥١٩/٨.

(٣) البحر المحيط ١٩٦/٧.

(٤) البحر المحيط ٥٠٠/٨.

مروى[1]عن الأخفش حتى تطمئن فى بلدها؛ فذكر ذلك للامتنان عليهم؛ إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا فى البلاد والأقاليم ولم تجتمع لهم كلمة. [2]

وهكذا يجمع أبو حيان فى تفسيره كل أنواع المناسبات القرآنية – تقريباً – إيماناً منه بهذا العلم الذى هو من أدل العلوم على الإعجاز القرآنى، وبهَ يفْضُل كلام الله عز وجل سائر الكلام.

---

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش الأوسط ٥٨٥/٢، وقد رد قول الأخفش هذا أبو جعفر النحاس فقال وهذا القول الخطأ فيه بين ، لو كان كما قال لكانت لإيلاف بعض آيات "ألم تر " وفي إجماع المسلمين علي الفصل بينهما ما يدل عليغير ما قال ، وأيضاً فلو كان كما قال لم يكن آخر السورة تماماً ، وهذا غير موجود في شئ من السور . انظر إعراب القرآن ١٠٦/٥.

(٢) البحر المحيط ٥١٣/٨.

الخاتمة

بعد أن عشنا مع تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي في محاولة للكشف عن اهتمام أبي حيان بعلم من علوم القرآن قل أن يعتني به المفسرون ؛ لدقته ، ألا وهو علم المناسبات القرآنية الذي يبين الحكمة من ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، وبعد هذا تبين :

-أن كتاب البحر المحيط ليس كتاباً لمعالجة القضايا النحوية فقط بل تناول كل ما يساعد علي فهم كتاب الله ، وقد أولي علم المناسبات القرآنية عناية خاصة.

-أنه يمكننا استخلاص كتاب مستقل في مناسبات القرآن الكريم بأنواعها المختلفة من تفسير البحر المحيط يكون مرجعاً مهماً في بابه .

-ولع أبي حيان الشديد بالمناسبات القرآنية ؛ لدرجة أنه أحياناً يرد الروايات الصحية التي لا تتمشى مع ما يرمي إليه من مناسبة بين الآيات .

وتجدر الإشارة هنا إلي أن هذا التفسير لا زال مجالاً خصباً للعديد من الدراسات البلاغية ، والأصولية ، والفقهية ، والقرآت القرآنية ، وموقفه من أصحاب العقائد الفاسدة وموقفه من المتصوفة .. وغيرها من الدراسات المختلفة .

والله ولي التوفيق،

المصادر والمراجع

١-الإحاطه في أخبار غرناطة :لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

٢-أساس البلاغة : جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، الطبعة الثالثة – ١٩٨٥م .

٣- أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، تحقيق : أيمن صالح شعبان ، دار الحديث – القاهرة ، بدون .

٤-إعراب القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس تحقيق: د/ زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥- البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ،دار الكتاب الإسلامي – القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

٦-البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع : محمد بن علي الشوكاني – دار المعرفة – بيروت ، بدون .

٧-البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – ، بدون .

٨-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – صيدا ، بدون .

٩- الجامع الصحيح : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل النجاري ، بشرح فتح الباري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محب الدين الخطيب و آخرين ، المكتبة السلفية – القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

١٠-جمهرة أمثال العرب : أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

١١-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، الطبعة الأولي ١٩٦٨م-١٣٨٧م.

١٢-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الوارث محمد علي،دار الكتب العمية -بيروت ، الطبعة الأولي ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

١٣-سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية – صيدا – بدون .

١٤ سنن الترمزي : أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، المكتبة الثقافية – بيروت – بدون .

١٥-شذرات في أخبار من ذهب:عبد الحي بن العماد الحنبلي،دار الفكر بيروت، بدون .

١٦- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ، بشرح النووي : محيي الدين أبي زكريا النووي، تحقيق : صلاح عويضه ومحمد شحاته ، دار المنار – القاهرة ، الطبعة الأولي ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٧ -طبقات الشافعية الكبري : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق :د/ محمود محمد الطناحي ، د/عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر – الجيزة ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

١٨- طبقات الفقهاء الشافعية : ابن قاضى شهبة ، تحقيق : د/ علي محمد عمر ، الثقافية الدينية – القاهرة – بدون .

١٩- طبقات المفسرين :شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : أحمد بن علي العسقلاني ،تحقيق : محب الدين الخطيب وآخرين ، المكتبة السلفية – القاهرة – الطبعة الثالثة -١٤٠٧هـ.

٢١-فوات الوفيات والذيل عليها :محمد بن شاكر الكبتي ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة -بيرت – بدون .

٢٢-القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٣-لباب النقول في أسباب النزول : جلال الدين بن عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق : قرني أبو عميره ، مكتبة نصر – القاهرة – بدون .

٢٤- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر.بيروت ، الطبعة الأولي ، بدون.

٢٥-مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة – بيروت ، بيروت.

٢٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسي تحقيق : عبد السلام الشافعي محمد ،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولي ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٢٧-معاني القرآن : سعيد بن مسعده الأخفش الأوسط تحقيق : د/ هدي محمود قراعه، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولي ١٤١١هـ -١٩٩٠م.

٢٨-معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي ،دار صادر –بيروت ، ١٩٩١م.

٢٩-معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولي ١٤١هـ – ١٩٩٣م.

٣٠-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين يوسف بن تغري بردي، تحقيق:محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولي ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٣١-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :أحمد بن محمد المقري التلسماني ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ن دار الفكر –بيروت – الطبعة الأولي ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٣٢-هديه العارفين :إسماعيل باشا البغدادي ، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.